شبهة مصدر القرآن الكريم من الأديان السماوية مستندة إلى النص القرآني من منظور المدرسة الحداثية

ساره حمزة عبد الكاظم

طالبة دكتوراه في كلية الإلهيات ـ قسم علوم القرآن والحديث، جامعة فردوسي مشهد

Sarahhamza201@gmil.com

الدكتور عباس إسماعيلي زاده (الكاتب المسؤول)

أستاذ مساعد في كلية الإلهيات ـ قسم علوم القرآن والحديث، جامعة فردوسي مشهد

esmaeelizzadeh@um.ac.ir

الدكتور صاحب علي أكبري

أستاذ مساعد في كلية الإلهيات ـ قسم علوم القرآن والحديث، جامعة فردوسي مشهد

Akbari-s@um.ac.ir

The suspicion of the source of the Qur'an from the revealed religions based on the Qur'anic text from the perspective of the modernist school

Sarah Hamza Abdul Kazem

PhD student at the Faculty of Theology, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Ferdowsi University, Mashhad

Dr. Abbas Ismaili zadeh

Assistant Professor at the Faculty of Theology, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Ferdowsi University of Mashhad

Dr. Sahib Ali Akbari

Assistant Professor at the Faculty of Theology, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Ferdowsi University of Mashhad

الملخص:-

يعتبر النص القرآني المعجزة العظمى لنبي محمد ﷺ، ومنذ نزوله يحاول المرجفون الإساءة إليه والطعن فيه خاصة فيما يتعلق بمصدره السماوي، ووصفوه بأنه كلام مفترى اختلقه مدعيه ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ (سورة السجدة: ٣)، وقد واكبت هذه الشبهات النص القرآني على مر العصور، وفي العصر الحديث ظهرت تيارات متعددة تحاول طمس هوية الشريعة المحمدية متلبسة بلباس البحث العلمي والحداثة، امثال المستشرقين ومن حذا حذوهم من العرب تحت مسمى العلمانيين أو الحداثيين، فوظفوا أقلامهم لطعن بمصدر النص وحاولوا بشتى الطرق سلب قدسيته وجعله إنتاجا بشريا خاضع للدراسة والنقد، وزعم بعضهم إن النص القرآني ما هو إلا نصا مستوحى تعاليمه من الكتب السماوية السابقة، وإن نبي الإسلام تعلم هذه التعاليم عن معلميه، وكان يحيل مستمعيه إلى أهل الذكر (علماء اليهود) ليشهدوا على صحتها.

ونحن في هذه الدراسة بصدد الحديث عن طائفة من أصحاب هذه المدرسة، الذين يحاولون من خلال شبهاتهم هدم الشريعة المحمدية وإسقاط هيبة النص، بحجة إن النص القرآني ما هو إلا نصا معربا عن الكتاب المقدس، مستدلين بالنصوص القرآنية ويفسرونها بما يتناسب مع شبهاتهم وليس ما يهدف النص إلى تحقيقه.

الكلمات المفتاحية: نبي الإسلام، شبهات، اقتباس النص القرآني، أصحاب المدرسة الحداثية، الأديان السماوية السابقة.

Abstract:-

The Qur'anic text is considered the great miracle of the Prophet Muhammad (peace be upon him and his family), and since its revelation, the skeptics have been trying to abuse and challenge it, especially with regard to its divine source, describing it as a fabricated word invented by its claimants {or do they say he invented it, but it is the truth} [Surat al-Sajdah: 3] These suspicions have accompanied the Qur'anic text throughout the ages, and in the modern era, multiple currents have emerged trying to obliterate the identity of the Muhammadan Shari'a dressed in the garb of scientific research and modernity, such as the Orientalists and their Arab followers under the name of secularists or modernists, who used their pens to challenge the source of the text Some of them claimed that the Qur'anic text is nothing more than a text whose teachings are inspired by previous divine books, and that the Prophet of Islam learned these teachings from his teachers and referred his listeners to the Ahl al-Zikr (Jewish scholars) to testify to their authenticity.

In this study, we are talking about a sect of the owners of this school, who, through their suspicions, try to destroy the Muhammadan sharia and overthrow the prestige of the text, arguing that the Qur'anic text is nothing but a text expressed from the Bible, citing Qur'anic texts and interpreting them in accordance with their suspicions and not what the text aims to achieve.

Keywords: Prophet of Islam, suspicions, quoting the Qur'anic text, modernists, previous monotheistic religions.

المقدمة:

تدور هذه الدراسة حول بيان شبهة أن النص القرآني لم يأت بشيء جديد بل أقتبس تعاليمه وتشريعاته ونصوصه من الكتب المقدسة السالفة كالديانة اليهودية والنصرانية والزرادشتية، ولم تكن هذه الشبهة وليدة العصر الحديث، بل ولدت مع ولادة الشريعة المحمدية، وكان المعارضون يتآمرون ضد النبي محمد ﷺ فاتهموه بأنه أخذ تعاليم كتابه من جماعة من الناس كانوا على دراية بتعاليم الديانات السابقة ثم نشره بين قومه الذين اجتمعوا حوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ. . . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ (سورة الفرقان: ٤ ـ٥)، وهكذا يحاولون إنكار أي صلة تربط القرآن بالوحي السماوي.

ونرى أن بعض رواد هذه المدرسة ساروا على نهج المستشرقين الذين سبقوهم وبذلوا جهودا كبيرة لإثبات أن النص القرآني ليس إلا نصا مقتبسا من عدة مصادر وليس وحيا إلهيا، وسيتناول هذا البحث شبهاتهم التي استندوا فيها إلى استنطاق النص القرآني ليشهد على صحة ادعاءاتهم، وسنرد عليهم من القرآن مفندين آراءهم ومبينين مغالطتهم في فهم النصوص القرآنية وعدم أمانتهم في الاستدلال، وقد جرى تقسيم هذا البحث إلى:

المبحث الأول: شبهة اقتباس النص القرآني من زبر الأولين

المبحث الثاني: شبهة أخذ النبي محمد ﷺ تعاليم كتابه عن معلميه

المبحث الثالث: شبهة تعريب النص القرآني عن الكتاب المقدس

الخاتمة.

المبحث الأول

شبهة اقتباس النص القرآني من زبر الأولين

ادعى الحداد عددا من الشبهات على أن النبي محمد ﷺ قد أقتبس تعاليم دينه من الكتب السماوية السابقة وأهمها التوراة، وهذا ما يشهد عليه النص القرآني في مواضع كثيرة منها ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ فهل هناك دليل أوضح وأصرح من

هذا الدليل؟![1]؛ وقد فصل هذا الادعاء في كتابه القرآن دعوة نصرانية فزعم أن سورة الأعلى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى... فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى... بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (سورة الأعلى: ١ - ١٩)، تحتوي على وثيقة صريحة على مصدر القرآن العربي وعلى معنى نبوة محمد وعلى موضوع دعوته الأولى، فهذه الوثيقة فيها (تقرير لوحدة الهدف والدعوة بين القرآن والكتب السماوية الأولى... وفيها تقرير تصديق القرآن لما تقدمه من كتب سماوية، مما ظل القرآن يردده في مختلف أدوار التنزيل)[2]...) وزعم ايضًا أن هذه السورة تحتوي على ثلاثة تصريحات تثبت ذلك، التصريح الأول: في موضوع الدعوة أنها للرب الأعلى الخالق فهي تقوم باسم (الله أكبر)، والتصريح الثاني: (والذي قدر فهدى... فذكر إن نفعت الذكرى) يدل على أن بعثة محمد كانت هداية له أولاً قبل غيره للإيمان بالكتاب والدعوة له ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ...﴾ (سورة الشورى: ٥٢) فهي ليست وحياً جديداً بل تذكير بالوحي القديم المنزل في الكتاب، وهذا التصريح الثالث: (أن هذا لفي الصحف الأولى...) فمصدر الدعوة المحمدية هو (الصحف الأولى) بنوع عام و (صحف إبراهيم وموسى) بنوع خاص[3].

ثم يعود الحداد مرة أخرى في موضع آخر من كتابه ليؤكد شبهته، مستشهدا بمجموعة من الآيات القرآنية التي تؤكد أن التعاليم المحمدية العامة والخاصة مستوحاة من الكتب المقدسة، فحينما يتحدث النبي محمد ﷺ مع قومه عن وحدانية الخالق وأن الآخرة خير من الدنيا ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ يؤكد قوله أنه تعلم ذلك من الكتاب المقدس بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[4]؛ وتكرر هذا الأمر في سورة النجم أيضًا ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (سورة النجم: ٣٦ -٣٧)، وفي سورة الشعراء يجمع المصادر التي استمد منها القرآن تعاليمه ومدى تفاعل هذه المصادر مع النبي وكتابه ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ... وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الشعراء: ١٩٢ - ١٩٧)، فتشير هذه الآية إلى مطابقة القرآن للكتب السماوية، أي (إن ذكر القرآن المنزل على محمد لفي كتب الأولين كالتوراة والإنجيل)[5].

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

وأما آركون فيزعم أن هناك العديد من النصوص القرآنية التي تأثرت بالنصوص السابقة مثل النص التوراتي والإنجيلي، وحتى بالنصوص التي كانت قبل ذلك، ويرى أن هناك تداخلا بين هذه النصوص و النص القرآني، حتى أصبح القرآن جزءا لا يتجزأ منهما، ويدعي أن هذا الأمر واضح في سورة الكهف، فهي سورة واحدة ولكنها تضمنت ثلاث قصص: قصة أصحاب الكهف ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا...﴾ (سورة الكهف: ١٠)، وأسطورة غلغاميش الآشورية، والرواية الإغريقية عن الإسكندر الأكبر[٦] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (سورة الكهف: ٨٣)؛ وكذلك استقى من كتب غير المقدسة قصة تلمود ومسودته (المشناة) التي عبر عنها محمد في كتابه المثناة[٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (سورة الحجر: ٨٧)، ويذكر الأخضر أيضا أن نبي الإسلام استعار من العبرية قصص الأنبياء والرموز والشريعة والمصطلحات الدينية وحتى الألفاظ العادية، ويستشهد على صحة كلامه بالاستناد إلى ما قاله الفيلسوف أرنولد توينبي (إن الإسلام هو الديانة اليهودية الثانية)، وكذلك بقول الفيلسوف ميلسون أنه عندما يقرأ القرآن فأنه يشعر وكأنه يقرأ التوراة، وذلك لكثرة النصوص التي وردت في القرآن المستوحى من التوراة، ويرى الأخضر أن هذه الأقوال في محله[٨].

نقض الشبهة:

المحور الأول: الجواب التفصيلي

أولًا: قبل الشروع بالرد على شبهة الحداد التي أثارها مستشهدا بسورة الأعلى، نود الأشارة أن ما ذكره في بداية شبهته أن (القرآن ينص بنفسه على ذلك...) نقول: صياغة هذه الشبهة من الأساس مبنية على الخطأ، من حيث أن نَص القرآن بنفسه على أنه في صحف الأولين وهذا لا يعتبر دليلا على اقتباسه من تلك الكتب وإنما من باب الاستشهاد، فإذا ذكر القرآن حقائق وردت في تلك الكتب ولم يشر إليها هنا تكون نصوصه مقتبسه، ولكن بما أنه أحال القارئ أو السائل إلى تلك الكتب كما في آية أخرى (فسألوا أهل الذكر) فإحالته للسائل يكون من باب الاستشهاد على أن نصوصه إلهية المصدر ولست أباطيل ادعاها النبي محمد ﷺ وهذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (سورة

المائدة: ٤٨)، فالآية تنص على أن القرآن جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب (التوراة والإنجيل) بما فيهما من التوحيد والنبوة وبعض الشرائع(٩).

فمهمة النص القرآني حفظ الأصول الثابتة غير المتغيرة، وينسخ منها ما ينبغي نسخه من الفروع التي قد يطرأ عليها التغيير والتبديل لتناسب حال المخاطب بحسب سلوكه صراط الترقي والتكامل بمرور الزمان، وأما جعل القرآن مهيمن على تلك الكتب فهذه اللفظة متممة لفظة التصديق، فلو ذكر فقط أن القرآن مصدقا تلك الكتب فهنا يتوهم أن القرآن يصدق ما فيها من الشرائع والأحكام تصديق إبقاء لا تغير ولا تبديل، ولكنه سبحانه أضاف هذه الصفة للقرآن ليبين أن هذه الكتب بما فيها من معارف وشرائع حقه من الله تعالى، وله سبحانه السلطة الكاملة في التصرف فيها كيف يشاء سواء كان بالنسخ أو التكميل كما أشار في ذيل الآية ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (سورة المائدة: ٤٨)، وعليه فكما جاءت الشريعة الإنجيلية مصدقة للتوراتية مع إحلال بعض ما حرم فيها ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ٥٠) كذلك جاء القرآن محققا الغرض ذاته(١٠).

ويقول الآملي في بيان هذا المعنى: أن النبي محمد ﷺ هو المرسل بأم الكتاب المصدق لسائر الكتب السماوية ومهيمن عليها، ولم تطلق صفة المهيمن في كل النص القرآني إلا على القرآن نفسه، ولم تتم المقارنة بين الأنبياء السابقين إلا بصفة التصديق (إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة)، ومن المعلوم أن مهمة جميع الأنبياء تصديق الأنبياء الذين سبقوهم ومهمة كل كتاب أيضا تصديق الكتاب الذي سبقه، إلا أن النبي محمد ﷺ هو الرسول الوحيد الذي اعتبر كتابه مهيمنا ومسيطرا على جميع الأنبياء وجميع الكتب السماوية، وبالإضافة للتصديق جعله الله تعالى مهيمنا عليها لما له من المقام العلمي وكذلك حفظه من التحريف (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، بينما لم تسلم الكتب السابقة من ذلك، بل حتى مع افتراض عدم تعرض تلك الكتب لجريمة التحريف فقد جاء النص القرآني بما لم يأت به الرسل والكتب السابقة من قبل، فكل نبي أو رسول يعادل ما جاء به من كتاب، أي إن الكتاب الذي يحمله كل نبي يبين مقام ذلك النبي ومكانته بين الأنبياء والرسل الآخرين، فكل نبي عالم بكل ما موجود في كتابه ومطلع عليه، وهذا

الانسجام بين الثقلين هو المبدأ العام لكل الأنبياء وكتبهم؛ ولما كان ختام الرسالة المحمدية مستندا إلى الولاية الإلهية للأئمة عليهم السلام كان كلمة ثقل التي هي مفردة (الثقلين) تطلق في الإسلام على كل من القرآن وجميع المعصومين عليهم السلام[١١].

وأما غاية الشرائع السماوية فجميعها تهدف إلى تحقيق غاية واحدة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (سورة آل عمران: ١٩) وعلى الرغم من اختلافها في بعض التكاليف وصور الأعمال، إلا أن هدفها واحد هو تحقيق التسليم المطلق لله تعالى، وهذا ما ركزت عليه جميع الشرائع السماوية، فالمسلم الحقيقي من كان خالصا من شوائب الشرك، مخلصا في أعماله مع الإيمان من أي ملة كان، وفي أي زمان وجد، وهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (سورة آل عمران: ٨٥) وهذا هو الدستور العام الذي عليه المعوّل في كل دين[١٢].

ونرجع لنعقب على شبهة الحداد واستشهاده بسورة الأعلى ليثبت أن تعاليم النص المحمدي مستوحاة من زبر الأولين بشكل عام ومن التوراة بشكل خاص؛ فالكلام الذي استدل به منقول عن محمد دروزة، وقد أشار فيه إلى وحدة الهدف بين الكتب السماوية وبين القرآن فقال دروزة، بعد الآيتين من سورة الأعلى (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) وفيهما كما هو ظاهر توكيد على أن بعض ما تضمنته آيات السورة من مبادئ الإسلام والسعادة الأخروية للمؤمنين الصالحين والشقاء للكافرين الفاجرين، هو ما تضمنته الصحف الأولى المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام[١٣].

ثانيًا: أما بشأن التصريحات الثلاث التي ذكرهن الحداد في وثيقته:

١- ذكر في تصريحه الأول أن الدعوة تقوم باسم الرب الأكبر، بينما جاءت الآية (سبح اسم ربك الأعلى) وهناك فرق بين الرب الأكبر والرب الأعلى[١٤]، هل توجد هناك علاقة بين ذكر الرب بالأكبر أو الأعلى بمصدر النص القرآني؟ وإذا كان قصد الحداد هو وحدة الدعوة بين الكتب السماوية والنص القرآن، فمن المعلوم أن الشرائع السماوية كلها تهدف إلى التوحيد المطلق لله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر لا يمكن اعتباره مصدرا له.

٢- التصريح الثاني: ذكر أن محمداً هو أول من هداه الله، فكانت البعثة أولا لهدايته إلى الإيمان بالكتاب والدعوة إليه بحسب هذه الآية (والذي قدر فهدى... فذكر إن نفعت الذكرى) فقد هدي النبي أولاً ثم أمره بالتذكير حتى يهدي بقية المسلمين.

أغفل الحداد عن وجود عدة آيات بين الآية (والذي قدر فهدى) والآية (فذكر أن نفعت الذكرى) تستلزم أن النبي محمد ﷺ يكون أول من انطبقت عليه هذه الآيات ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[١٥]، وإلا فلا معنى أن يتخطى الآيات السابقة ويأتي إلى هذه الآية (فذكر...) ويقول إنها نتيجة لهداية النبي محمد ﷺ للآخرين (ونيسرك لليسرى) يا محمد ثم أنت تيسر الأخرون لليسرى؛ وجب أن ينظر إلى سياق الآيات ليتبين له أن الله تعالى اعطى لنبيه وعدين قبل أن يأمر بالتذكر (فلا يمكن القول أن هذه الآية غير مرتبطة بالآيات السابقة فهي متفرعة عليهن ويربطهن الغرض نفسه فلا يمكن القفز من دون المرور بالآيات السابقة ومعرفه مراد الله منهن، ولماذا أمر سبحانه نبيه بالتذكر، يذكر الطباطبائي: أن الفاء في فذكر متفرعة على الآيات السابقة، من أمره تعالى بتنزيه اسمه، ثم وعده بوعدين الأول وعده بإقراء الوحي بحيث لا ينسى شيئا، والثاني تيسيره لليسرى، وهذه هي الشرائط الأساسية التي يتوقف عليها نجاح الدعوة المحمدية، فعندها يبدأ بالتذكير[١٦]) وأما الآية التي جاء بها شاهدا ليثبت صحة كلامه من سورة الشورى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب...) فهذه الآية خلاف ما ذكر، والآية صريحة ومفصلة في أن الله تعالى أنزل القرآن على النبي محمد ﷺ كما أنزل الكتب على الأنبياء الذين سبقوه، فجاءت هذه الآية خطابا للنبي أن جميع المعارف والتعاليم التي تتلبس بها وتدعو قومك إليها ليس مما أدركته بنفسك وأبديته بعلمك بل هو أمر منا أوحي إليك بوحينا[١٧]؛ وتدل هذه الآية أيضا (وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان...) أن النبي محمد لم يكن على علم بشرائع الإسلام ولا الإيمان فهي مواهب وهبها سبحانه له بواسطة الوحي، فيكون علمه الأول وهدايته من قبل الله وحده[١٨].

٣- التصريح الثالث: الذي زعمه الحداد (أن هذا لفي الصحف الأولى...) فنقول إن كلمة (هذا) لها عدة وجوه، ولنرجع إلى كلام المفسرين لنبين اقوالهم في بيان معنى (هذا):

الوجه الأول: (هذا) يعود إلى الآيات الأربع من آية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (سورة الأعلى: ١٤-١٧) التي ورد فيها من فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق الدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير فجميع هذه الوصايا وردت في الكتب السماوية السابقة، كما ذكرت في النص القرآني[١٩].

يقول الطبرسي: أن الذي ذكر من قوله (قد أفلح) إلى أربع آيات لفي الكتب الأولى التي أنزلت قبل النص القرآني، وقيل إن من تزكى وذكر اسم الله وصلى فهو ممدوح في الصحف الأولى، كما هو ممدوح في النص القرآني[٢٠]؛ وهذا ما اجمع عليه أكثر المفسرين.

الوجه الثاني: (هذا) ترجع إلى جميع السورة، إذ تتضمن هذه السورة التوحيد والنبوة والتحذير من الأغترار بالدنيا والترغيب في التوجه إلى الآخرة، فجاءت هذه الآيات لتدل على وجود المماثلة في جميع دعوات الأنبياء، فما دعا إليه النبي إبراهيم والنبي وموسى (عليهما السلام)، قد دعا إليه النبي محمد ﷺ[٢١].

رجح كثير من المفسرين هذه الوجوه لأنها لا بأس فيها، وهذا الأمر لا يقدح في النص القرآني، فهي إرشادات ونصائح دعا إليها كافة الأنبياء والرسل وأكدوا عليها في شرائعهم.

ثالثًا: وأما مسألة استشهاد الحداد بقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ فإن ذلك يرجع إلى أن القرآن يتضمن معاني جميع ما أنزل على الرسل السابقين، فكل ما أوحي لهم مندرج في القرآن[٢٢]؛ وكذلك جاء ذكر النص القرآني في كتب الاولين على وجه البشارة به[٢٣]، فهذا الأمر وارد لأن النبي عيسى عليه السلام بشر بمجيء النبي محمد ﷺ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ . . . وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (سورة الصف: ٦)، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧)، فهنا جاء ذكر القرآن في هذه الصحف على وجه البشارة لا على وجه الاقتباس منها.

رابعًا: ومسألة أن النص القرآني مقتبس من الصحف الأولى بشكل عام ومن صحف إبراهيم وموسى بشكل خاص، فهذا قول مردود أيضا، ففي هذا الموضع أراد

سبحانه أن يبين ما هي الصحف الأولى هي صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، فقد روي عن أبي ذر (رضي الله عنه)، إنّه قال: قلت يا رسول اللّه كم أنزل اللّه من كتاب؟ قال: "مائة وأربعة كتب، أنزل اللّه منها على آدم عليه السلام عشر صحف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثين صحيفة...، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزّبور والفرقان؛ أُنزلت على موسى وعيسى وداود ومحمّد عليهم السلام"(٢٤).

يذكر الطباطبائي: أن مسألة إبهام الصحف ووصفها بالتقدم أولا ثم بيانها وتفسيرها بصحف النبي إبراهيم والنبي موسى عليهما السلام ثانيا ما لا يخفى من تفخيم شأنها وتعظيم أمرها(٢٥)؛ وقيل: إن هذه الكتب (صحف إبراهيم وموسى) خصت بالذكر لشهرتها في الجزيرة العربية(٢٦).

المحور الثاني: الجواب الإجمالي

أولاً: عند البحث في النصوص القرآنية لا نرى أي أثر قرآني يثبت أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ادعى أنه أتى بدين جديد مخالف للديانات السماوية التي نزلت قبله، بل جاءت شريعته مصدقتا ومهيمنتا على الشرائع السابقة ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة:٤٨)، ولكن هناك علاقة تربطه بتلك الأديان، حيث أمر الله تعالى نبيه أن يقتدي بالأنبياء والرسل الذين سبقوه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (سورة الأنعام: ٩١)، وأما العقائد والأخلاق الحميدة التي جاء بها القرآن هي ذاتها التي دعت إليها الشرائع السالفة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة:١٨٣)، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (سورة الحديد:١٢٥)، ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة المؤمنون: ٥١ -٥٢)...، وغيرها من الأدلة القرآنية التي تبين مدى الصلة بين الشريعة المحمدية والشرائع السماوية السابقة.

وقد نهى الله تعالى نبيه محمد ﷺ عن الرجوع إلى أهل الكتاب لمعرفة ما حدث مع الأمم السالفة ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: ٢٢) كون القرآن تكفل ببيان كل شيء، وقد بدى هذا واضحا في قصة أصحاب الكهف وغيرها(٢٧).

ثانيًا: أن التشابه بين النص القرآني والنصوص الأخرى يرجع إلى انحدار جميع الشرائع الإلهية من أصل واحد، و تهدف جميعها إلى التوحيد والإخلاص في العمل الصالح والتحلي بمكارم الأخلاق، وأما الأصول والفروع فهي ذاتها ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (سورة الشورة: ١٣)؛ ولذلك فإن الدين عند الله واحد والشرائع متعددة، إلا أن الأحكام والتكاليف التي دعا إليها الأنبياء فهي تهدف إلى غرض واحد وهو كمال الإنسان ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (سورة آل عمران:١٩) وعليه فالدين يشمل الإسلام أي التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى والإخلاص في عبادته ونبذ ما دونه وهذا هو الهدف الذي أراد الله سبحانه أن يحققه من النبي آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ للوصول إلى كمال الدين ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (سورة آل عمران:٨٥)، ولذا؛ تأدب المسلمون بوجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٣)؛ وتوحيد الكلمة وعدم زرع التفرقة بين الرسل ما دام الهدف والغاية واحدة (التسليم المطلق لله رب العالمين)؛ وحينما أراد علماء اليهود والنصارى زرع التفرقة وتحريض أتباعهم بأن يهتدوا إليهم ونبذ غيرهم، نجد أن القرآن ردعهم ورد عليهم بوجوب الالتفات حول الدين الحنفي الإبراهيمي ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (سورة البقرة: ١٣٥)، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (سورة البقرة: ١٣٨) أي أن صبغة الله شاملة وكفيلة بإسعاد البشرية جمعاء(٢٨).

ثالثًا: صرح النص القرآني أن الوحي هو المصدر الأساسي لجميع الديانات السماوية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة الشورى: ٥١)، فالقرآن نص سماوي أوحي إلى نبي الإسلام كما أوحيت الكتب السماوية إلى حامليها ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ (سورة النساء: ١٦) وهذه الأدلة تشير بصورة صريحة كون الوحي هو المصدر الأساسي لأي شريعة سماوية[٢٩].

بل نجد النص القرآني يشهد بنفسه أنه نص موحى من الله سبحانه إلى النبي محمد ﷺ عن طريق الوحي وهذا ما أشارت إليه النصوص القرآنية السابقة فكما أوحي إلى الأنبياء أوحي إلى نبي الإسلام ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ (سورة الأنعام: ١٩)، فهذه النصوص صريحة بأن القرآن موحى إلى النبي وحيا مباشرا[٣٠] ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ٨٦)، وهناك نصوص أخرى تثبت أن القرآن منزل على قلب النبي محمد ﷺ ولم يتدخل فيه بأي وجه من الوجه ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٥)، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف: ٢)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الرعد: ٣٧)، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (سورة ص:٢٩)، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (سورة القدر: ١) فقد أسند إليه سبحانه دور المبلغ والمرشد والمبين والمصلح ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (سورة يونس: ١٥)

المبحث الثاني

شبهة أخذ النبي محمد ﷺ تعاليم كتابه من معلميه

اسند الحداد لعلماء بني إسرائيل دور تعليم النبي تعاليم تلك الأديان بأنها كانت بلغة أعجمية لم يفهمها النبي ﷺ ولا قومه ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ (سورة النحل: ١٠٣) ولذلك كان النبي بحاجة لمن يعلمه هذه التعاليم لينقلها إلى اللغة العربية وينشرها بين قومه، وهذا الدور قام به علماء بني إسرائيل ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ (سورة الفرقان: ٤).

وقد شهد علماء بني إسرائيل بصحة ما في الكتاب المحمدي وذلك لأنهم كانوا شركاء في الوحي ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الأحقاف: ١٢) وهذه الآية تؤكد صراحة أن محمدا قد تتلمذ لدى علماء اليهود وجعل كتابه في قالب لسان العرب أي (نظم القرآن من محمد وترجمته من علماء بني إسرائيل)، ويثبت ذلك ما جاء في سورة القلم فبعد مطلعها الذي تلا سورة العلق تأتي هذه الآيات ربما من زمن متأخر نسبيا { ﴿مَا لَكُمْ * كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ! . . . أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ؟﴾ (سورة القلم: ٣٦ ـ ٤٧) فما هو هذا الكتاب الذي درس فيه النبي والمسلمين؟ هل هو غير كتاب الزبر الذي بيد اليهود والنصارى؟[٣١]، وهذه شهادة قرآنية أخرى تثبت أن محمدا درس تعاليم كتابه مع أهله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٥) وكذلك في قوله تعالى (أم عندهم الغيب فهم لا يكتبون) شهادة ثانية على أن محمدا كان يكتب الغيب من كتاب النصارى[٣٢].

وقد أيد هذه الشبهة حداثي أخر (العفيف الأخضر) مصرحاً أن النص من إنتاج نبي الإسلام نفسه وبأشراف معلميه (القس ورقة بن نوفل[٣٣] في مكة وسلمان الفارسي في مكة والمدينة[٣٤]) الذين كانوا يعلمونه ويكتبون له أو يملون عليه النصوص وهذا ما تؤكده هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة النحل: ١٠٣)، فلغة النص عربية ولكن مضامينه يهودية ونصرانية وزرادشتية... ويزعم الأخضر أن معلميه بذلوا جهودا عظيمة في تعليمه، ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك، فقد ترجموا له تعاليم هذه الأديان وبات هذا واضحا في النص، ولم يقتصروا على ترجمة مصطلحات القرآن فحسب، بل شمل ذلك تعبيراته العادية أيضًا[٣٥].

وهكذا نجد النص المحمدي مليئا بالتصريحات أن التعاليم والأحكام التي جاء بها النبي محمد ﷺ... ما هي إلا من أهل الكتاب، وتبدأ هذه التصريحات من سورة العلق والقلم إلى سورتي المائدة والتوبة، وكل ما تحدث عنه النبي يرجع في كلامه إلى أقوال أهل الكتاب، فيستشهد بكلامهم ليثبت صحة أقواله أو وحيه ونبوته ورسالته وقرآنه وتعاليمه ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ . . . وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٣ -٧)، فحينما جمع النبي نجواهم ليرد عليها، لم يقتنعوا بأجابته ولكن حينما أورد كلام أهل الذكر سكتوا ولم يحيروا في ذلك، وهكذا لم يتخلص النبي من اتهاماتهم إلا بالتجائه إلى معلميه من أهل الكتاب، وهذا هو الحال في سورة النحل، فنراه يحيل سامعيه إلى أهل الكتاب ليستوثقوا منهم صحة تعاليمه[٣٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل: ٤٣).

وكذلك اجتهد الأخضر في كتابه في إثبات عدة شبهات نسبها إلى نبي الإسلام، واستدل بالقرآن الكريم لإثبات صحة دعواه من هذه الأكاذيب والافتراءات، أن نبي الإسلام اجتهد في تحصيل تعاليم كتابه عن معلميه (القس ورقة بن نوفل والزرادشتي سلمان الفارسي) فورقة بن نوفل تعلم اللغة العبرية وترجم النصوص التوراتية والإنجيلية إلى اللغة العربية، فعهد بتعليمها إلى نبي الإسلام، وأما سلمان الفارسي فقد عهد بتعليم النبي تعاليم الديانة الزرادشتية ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة النحل: ١٠٣)، فلسان النص عربي ولكن مضامينه يهودية ونصرانية وزرادشتية...، وقد بذل معلموه جهودا عظيمة وكان لهم دور كبير في تعاليم الدعوة المحمدية، فقصص الأمم السالفة المذكورة في القرآن وتعاليم أخرى تعلمها نبي الإسلام من القس ورقة بن نوفل، وتفاصيل أساطير الجنة والصراط الوارد ذكرها في النص غير موجودة في الكتب المقدسة فقد استعارها نبي الإسلام من الديانة الزرادشتية عن طريق معلمه سلمان الفارسي كما يقول الله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (سورة الكهف: ٣١).

نقض الشبهة:

والجواب عن هذه الشبهة سنتناوله في عدة محاور:

المحور الأول: زعم بعض الحداثيين في شبهة أن النبي محمد ﷺ أخذ التعاليم عن علماء اليهود وغيرهم، بالاستناد إلى هذه الآية (لسان الذين يلحدون إليه أعجمي) نراهم يستدلون ما يناسب شبهتهم ولم ينظروا إلى مطلع الآية وآخرها ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة النحل: ١٠٣)، وقد تطرق النص القرآني في هذه الآية لبيان شبهة وافتراء وجهة لنبي الإسلام محمد ﷺ من قبل المعاندين وها

هي الشبهة ذاتها طرحت في العصر الحديث، فنجد القرآن يرد عليهم بقوة، كيف لأشخاص لا يفقهون من اللغة العربية وبلاغتها شيئا، إذا كيف لفاقد ملكة البيان أن يعلم كل هذه البلاغة والفصاحة التي عجز أمامها بلغاء العرب أنفسهم عن الاتيان بآية من مثله؟! فهذه ادعاءات باطلة ولا تحتاج إلى أدلة للخوض فيها، فهي افتراءات في منتهى السفة[٣٧].

المحور الثاني: هؤلاء الباحثون يبنون نظرهم على تحول الاجتماع مع إلغاء المعنويات من معارف التوحيد وفضائل الأخلاق، فكلمتهم جامدة على سير التكامل الاجتماعي المادي العادم لفضيلة الروح، وكلمة الله هي العليا؛ و قد تحدى الله تعالى بالنبي الأمي الذي جاء بالنص القرآني المعجز في لفظه ومعناه، و لم يتعلم عند معلم و لم يترب عند مرب بقوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يونس - ١٦)، فقد كان النبي ﷺ بينهم وهو أحدهم لم ينطق بعلم ولم يأت بشيء من شعر أو نثر نحوا من أربعين سنة و هو ثلثا عمره، ثم أتى بما أتى به دفعة فأتى بما عجزت عنه فحولهم و كلت دونه ألسنة بلغائهم، ثم بثه في أقطار الأرض فلم يجترئ على معارضته معارض من عالم أو فاضل أو ذي لب و فطانة.

وغاية ما أخذوه عليه: أنه سافر إلى الشام للتجارة فتعلم هذه القصص ممن هناك من الرهبان ولم يكن أسفاره إلى الشام إلا مع عمه أبي طالب عليه السلام قبل بلوغه وإلا مع ميسرة مولى السيدة خديجة عليها السلام، ولو فرض محالا ذلك فما هذه المعارف والعلوم؟ ومن أين هذه الحكم والحقائق؟ وممن هذه البلاغة في البيان الذي خضعت له الرقاب وكلت دونه الألسن الفصاح؟.

وما قالوا عليه أنه يتعلم بعض ما يتعلم من سلمان الفارسي وهو من علماء الفرس عالم بالمذاهب والأديان مع أن سلمان المحمدي إنما آمن بالنبي محمد ﷺ في المدينة، وقد نزل أكثر النص القرآني بمكة وفيه من جميع المعارف الكلية والقصص ما نزلت منها بمدينة بل أزيد، فما الذي زاده إيمان سلمان المحمدي وصحابته؟

على أن من قرأ التوراة والإنجيل وتأمل ما فيهما ثم رجع إلى ما قصه النص القرآني من تواريخ الأنبياء السالفين وأقوامهم رأى أن التاريخ غير التاريخ والقصة غير القصة، ففيهما عثرات وخطايا لأنبياء الله الصالحين تنبو الفطرة وتتنفر من أن تنسبها إلى المتعارف من

صلحاء الناس وعقلائهم، والقرآن يبرئهم منها، وفيها أمور أخرى لا يتعلق بها معرفة حقيقية ولا فضيلة خلقية ولم يذكر القرآن منها إلا ما ينفع الناس في معارفهم وأخلاقهم وترك الباقي وهو الأكثر(٣٨).

المحور الثالث: وأما استدلالهم بالنصوص القرآنية على أن النبي محمد ﷺ درس تعاليم كتابه وكتب الغيب من الكتب السماوية السالفة (اَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ... اَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ)، فهذا الاستدلال غير يناسب، فهذه الآيات في محل الرد على المشركين حينما سمعوا كلام النبي محد ﷺ يتحدث فيه عن جزاء المسلمين يوم القيامة، قالو إذا كان كلام محمد حقا، فأن حالنا يوم القيامة مثل حالنا في الدنيا، فجاءهم الرد هل نزل عليكم كتاب من الله تعالى؟ قرأتم فيه أن ما تشتهون وتختارون من النعيم هو لكم في دار الآخرة (ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون)؟(٣٩)؛ وليس في هذه الآية معنى الصلة بين النبي محمد ﷺ والكتاب المقدس، بأنه درس وأخذ تعاليمه من تلك الكتب كما يدعي أصحاب هذه المدرسة، بل نجد القرآن يبرر هذا الافتراء ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ... وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٧ - ٤٨) أي أن النبي لم يقرأ الكتب قبل بعثته ولم يكتب تعاليم تلك الأديان مطلقاً (٤٠).

والموضع الآخر من الآية التي استشهدوا بها (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) كما إن هذه الآية بعيدة الصلة بين النبي محمد وأهل الكتاب، حيث أنه كان يكتب الغيب من كتبهم، فالآية في موضع تسأل هل عندهم الغيب يكتبون منه (أي هل عند المشركون اتصال بالغيب حتى يكتبوا أحكامهم)؟ وهذا التساؤل لم يرد بحق أهل الكتاب فيكون هناك مورد شك في إن النبي أخذ تعاليم كتابه عندهم، وإنما جاءت بشأن المشركين كما أشرنا أنفا، فهل عندهم اللوح حتى يكتبوا منه ما يحكمون به؟(٤١)، أم عندهم علم بصحة ما يزعمون أنه اختص بهم، ولا يعلمه غيرهم، فهم يكتبونه ويتوارثونه فينبغي عليهم أن يبرزوه(٤٢)، فكان استدلالهم بعيد جدا عن مدلول الآية.

المحور الرابع: زعم الحداد أن النبي محمد ﷺ كان إذا تحدث عن أمرا كان يرجع في كلامه إلى أقوال علماء أهل الكتاب، فيستشهد بكلامهم ليثبت صحة أقواله أو وحيه ونبوته ورسالته وقرآنه وتعاليمه ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، سنورد عدة وجه تثبت أن

المراد من أهل الذكر ليس علماء بني إسرائيل على وجه الخصوص، فهذه اللفظة تحمل في طياتها عدة مصاديق إحدى مصاديقها علماء بني إسرائيل ولكن المراد منها ليس كما زعم الحداد هذا ما سنوضحه فيما يلي:

الوجه الأول: أن المراد من الذكر هو القرآن الكريم ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (سورة ص: ١)، فأهل الذكر هم العلماء المؤمنون من أهل القرآن(٤٣).

الوجه الثاني: أهل الذكر هم أهل اللسان العربي(٤٤).

الوجه الثالث: أهل الذكر تشمل من الناحية اللغوية كلّ العلماء والمطّلعين، والآية تبيّن قانوناً عقلائيّاً عامّاً في مسألة (رجوع الجاهل إلى العالم)، ولها مصداق أخر بحسب ما ورد في بعض الرّوايات التي وصلتنا عن أهل البيت عليهم السلام بأنّ (أهل الذكر) قد فسّرت بالإمام علي عليه السلام أو سائر الأئمّة عليهم السلام(٤٥).

الوجه الرابع: أن المراد من الذكر هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ (سورة الطلاق: ١٠-١١) وسمي بذلك لأنه وسيلة تذكرنا بالله وآياته وسبيل الدعوة إلى دين الحق، وما يؤيده ذلك ظاهر قوله: (يتلوا عليكم آيات الله مبينات)(٤٦)، وبذلك يكون أهل الذكر هم الرسول محمد وأهله.

الوجه الخامس: لعل المراد من أهل الذكر فصحاء العرب وبلغاءهم ليشهدوا على فصاحة القرآن وبلاغته، وعدم قدرتهم على مجارية بيانه

الوجه السادس: أن المراد بأهل الذكر لا بالخصوص العلماء بل يشمل جميع الناس ممن كان لهم علم بحسب مورد الاستشهاد، ودليل ذلك حينما يرد خطاب حول أهل النار أو أهل الجنة أو أهل المدينة... هل يراد منهم العلماء دون غيرهم؟ ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (سورة ص: ٦٤)، ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ﴾ (سورة التوبة: ١٢٠)...

الوجه السابع: يراد من أهل الذكر علماء أهل الكتاب إذ لا ينكرون أن الأنبياء كانوا

بشراً وليسوا ملائكة[٤٧]، ونستفيد من سياق الآية في بيان أن المراد من السؤال ليس كما أدعى الحداد لتأكيد التعاليم التي أتى بها النبي لقومه، بل كان مورد السؤال يحتمل أما أن يكون حول طبيعة الأنبياء هل كانوا بشرا؟ (فجاء جواب عما احتجوا به على نفي نبوته ﷺ بقولهم: (هل هذا إلا بشر مثلكم)، بأن الماضيين من الأنبياء لم يكونوا إلا رجالا من البشر فالبشرية لا تنافي النبوة)[٤٨] فالسؤال لم يكن في مواطن أثبات أن التعاليم المحمدية موجودة في الكتب السالفة كما زعموا، بل في أثبات طبيعة النبي المرسل، أو يكون من باب إحالة السائل إليهم للأثبات والاستشهاد على أن تعاليم كتابه إلهية المصدر ولست أباطيل ادعاها النبي محمد ﷺ، وإنما دعت إليها كافة الشرائع السماوية السابقة.

المحور الخامس: بحسب ما ورد في النص القرآني أن النبي محمد ﷺ لم يكن عنده شك أو ريب اتجاه كل ما نزل عليه من الله تعالى حتى يرجع إلى معلمه ورقه بن نوفل أو غيره ليثبتوه ويهدئوه ويصححوا له، بل كان على يقين تام بأن تعاليمه سماوية وإلهية المصدر ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ (سورة يوسف: ١٠٨-١٠٩) كسائر الأنبياء والرسل.

المبحث الثالث

شبهة النص القرآني كتاب معرب عن الكتاب المقدس

زعم الحداد أن المراد من التفصيل الوارد في النصوص القرآنية ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة فصلت: ٣) هو نقل النص من الأصل الأعجمي إلى العربي[٤٩] ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾(سورة هود: ١) يراد من ذلك تفصيل الكتاب[٥٠] الأصل (الإمام) كتاب موسى ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الأحقاف:١٢)، لا كتاب جديد ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (سورة يونس: ٣٧)، ثم كرر القرآن هذا الأمر في سورة يوسف ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة يوسف: ٢) فهنا وصف النص تفصيل الكتاب بوصف آخر (أنزلناه) وفي اصطلاحه التنزيل والتفصيل يهدفان إلى شيء واحد، أن محمد يتلو ﴿تِلْكَ آيَاتُ

الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (سورة يوسف: ١) كما أشار في مطلع التعليق عليها بالقرآن العربي بقوله (تلك) وتلي السورة تعليقا أخر عليها ﴿أنا أنزلناه قُرْآنًا عَرَبِيًا﴾، أي أن ما ورد في سورة هود أعلانا نهائيا أن القرآن المحمدي ليس إلا تعريبا لكتاب الإمام ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ (سورة هود: ١)، ونجد في النص تصريحا ثانيا يثبت أن القرآن هو تعريب الكتاب المقدس حينما يطلق على نزول النص العربي أي تفصيل الكتاب حديث ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ (قبله) وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة يوسف: ١١١) وهذا البيان يؤكد ما جاء في سورة يونس أيضًا[٥١] ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ (سورة يونس: ٣٧).

نقض الشبهة:

حاول بعض رواد هذه المدرسة أن يجعلوا القرآن نصا معربا للكتاب المقدس بالاستناد على آيات قرآنية بعيدة جدا عما يزعمون وأن تفصيل الكتاب يراد منه نقل النصوص من اللغة العبرية إلى اللغة العربية ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا﴾، وسنبرهن لهم وهن شبهاتهم وأن مراد الآيات التي استدلوا بها بعيدة عما زعموه

المحور الأول: الإجابة التفصيلية

أولًا: يذكر الطباطبائي[٥٢]: يراد من الإحكام ربط بعض الشيء ببعضه الآخر وإرجاع طرف منه إلى طرف آخر بحيث يعود الجميع شيئا واحدا بسيطا غير ذي أجزاء وأبعاض، ويراد من التفصيل إيجاد الفصل بين أجزاء الشيء المتصل بعضها ببعض، والتفرقة بين الأمور المندمجة كل منها في آخر؛ ومن المعلوم أن القرآن إذا اتصف بالإحكام والتفصيل بهذا المعنى الذي مر فإنما يتصف بهما من جهة ما يشتمل عليه من المعنى والمضمون لا من جهة ألفاظه أو غير ذلك.

وعلى هذا فكون نصوص القرآن محكمة أولا ثم مفصلة ثانيا معناه أن النصوص القرآنية على اختلاف مضامينها و تشتت مقاصدها و أغراضها ترجع إلى معنى واحد بسيط، و غرض فارد أصلي لا تكثر فيه ولا تشتت بحيث لا تروم آية من الآيات الكريمة مقصدا من المقاصد ولا ترمي إلى هدف إلا والغرض الأصلي هو الروح الساري في جثمانه والحقيقة المطلوبة منه؛ ولا غرض لهذا النص السماوي على تشتت نصوصه إلا غرض واحد متوحد

إذا فصل كان في مورد أصلا دينيا وفي آخر أمراً خلقيا وفي ثالث حكما شرعيا وهكذا كلما تنزل من الأصول إلى فروعها و من الفروع إلى فروع الفروع لم يخرج من معناه الواحد المحفوظ، ولا يخطي غرضه فهذا الأصل الواحد بتركبه يصير كل واحد من أجزاء تفاصيل العقائد والأخلاق والأعمال...

وهناك من فسر هذه الآية: إن المراد أحكمت آياته جملة ثم فرقت في الإنزال آية بعد آية ليكون المكلف أمكن من النظر والتأمل، ويرى الطباطبائي أن الأحرى بهذا القول أن يذكر في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (سورة الدخان: ٣)، و قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ١٠٦) و ما في هذا المعنى من الآيات مما يدل على أن للقرآن مرتبة عند الله تعالى أعلى من سطح الأفهام ثم نزل إلى مرتبة تقبل التفهم والتفقه رعاية لحال الأفهام العادية كما يشير إليه أيضا قوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (سورة الزخرف: ٤)، أي أن القرآن في اللوح المحفوظ كان عبارة عن صور ومعاني لا يمكن أدراك مقاصدها ومفاهيمها وبعدما أنزل إلى سماء الدنيا فصلت معانيه إلى سور وآيات يمكن فهمها وقراءتها.

إن التفصيل يقابل الإحكام والإجمال، والمقصود بتفصيل آيات القرآن هو تمييز أجزائه عن بعضها البعض بإنزالها إلى مرتبة البيان بحيث يتمكن السامع العارف بأساليب البيان من فهم معانيه وتعقل مقاصده.

ثانياً: وأما ما زعمه أن القرآن تفصيل لكتاب الإمام (التوراة) لا كتاب جديد بالاستناد إلى قوله تعالى: (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا...) ففي هذا المورد كرر النص القرآني الإشارة إلى الصلة بينه وبين الكتب السماوية السابقة، وخاصتا التوراة باعتبار الإنجيل امتداد وتكمله له ولهذا لم يشر إليه، ومن جانب أخر أن أصل التشريع والعقيدة ذكرت في كتاب موسى ولذا سماه بالإمام ووصفه بالرحمة، ثم ذكر أن هذا القرآن الذي بين أيديكم مصدقا للأصل الأول الذي تقوم عليه الأديان السماوية جميعها، وللمنهج الإلهي الذي تسلكه الأديان كلها، وللاتجاه الأصيل الذي توجه البشرية إليه، لتتصل بالله جل ذكره[٥٣].

ثالثًا: المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي أن القرآن اصدق شاهد على ما تقدم من التوراة والانجيل والزبور بأنها حق، وأما تفصيل الكتاب فيراد منه تفصيل المعاني الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقيقته(٥٤).

رابعًا: ومعنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أن المراد منه أن القرآن لم يكن حديثا مفترى بل جاء مصدقا لما قبله من الكتب السماوية، وكذلك جاء تفصيل كل ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأحكام(٥٥).

المحور الثاني: الإجابة الإجمالية

أولاً: أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي أتصف بالخلود وأنه كتاب ذا خطاب عام ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٩٠) على خلاف الكتب السماوية السابقة التي أنزلها سبحانه إلى قوم بعينهم وفي مرحلة زمانية محدده، بالإضافة إلى تعهد الله تعالى بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩) وهذا الأمر لم يعهده إلى تلك الكتب وإنما أوكل حفظها على حملتها ولهذا لم تسلم من التحريف والتغيير ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

ثانياً: لو أسلمنا أن النص القرآني كتابا معربا عن الكتب السابقة فمن الأجدر أن تكون نصوصه مشابه لنصوص الكتب السالفة كونه نسخة معربة عنها، ولكننا حينما ندقق في محتوى النص القرآني وما جاء به من تعاليم وقصص وبين محتوى العهدين لوجدنا اختلافا كبيرا بسبب التحريف الذي تعرضت له هذه الكتب، سنذكر نموذجين ورد ذكرهما في القرآن والعهدين، ونثبت مدى الاختلاف بينهما، اختلافا لا يقبله العقل.

نرى أهل الكتاب عندما وصفوا للأنبياء وصفوهم بأوصاف خارجة عن المنطق، ولا تمر قصة واحدة من قصصهم إلا ملؤها بالإهانة والتحقير، وربما بلغوا إلى حد من الابتذال لا

يليق بعباد الله المخلصين، بينما نجد القرآن حينما يتحدث عنهم لا يتحدث إلا بألفاظ تحفظ لهم كرامتهم وترفع مكانتهم بين العباد، فمثلا حينما تطرقت التوراة لبيان قصة نبي الله نوح عليه السلام وصفته بالرجل السكير المستهتر (إنه بعد ما نزل من سفينته هو ومن معه غرس كرما وصنع خمرا وشربها حتى سكر وتعرى داخل خبائه إذا دخل عليه ابنه الصغير حام فرأى أباه مكشوفا عورته فأستحى ورجع يخبر إخوته بذلك، وحينما صح نوح من سكره وعلم بفضيع أمره دعا على ابنه حام ولعنه هو وذريته في الآخرين، فكان من أثر دعائه عليه أن كانت ذريته عبيدا لذرية أخويه سام ويافث)[٥٦] فيالها من مهزلة ساقتها نصوص التوراة لتمس بكرامة شيخ الأنبياء، على عكس ما وصفه القرآن بكل تبجيل وإكرام[٥٧] ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الصافات: ٧٥ ـ ٨١)، والمورد الآخر إن الله أوحى إلى إبراهيم أن لوطًا زنا بابنتيه وحملتا منه بعد أن شرب الخمر (وحدث لما أهلك الله مدن الدائرة أن الله ذكر إبراهيم إذ انتشل لوطا من وسط الانقلاب حين قلب المدن التي كان لوط ساكنا فيها... هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه ونقيم من أبينا نسلا...)[٥٨]، وأما القرآن فعندما تحدث عنه وصفه بالطهارة ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط إنهم أناس يتطهرون﴾، (سورة النمل: ٥٦) والعلم ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٤)، وهذا هو الحال مع سائر قصص الأنبياء، فما ورد ذكرا عنهم في الكتاب المقدس إلا بهتانا وكذبا على رسل الله عليهم السلام، أما القرآن فنجد أنه يؤكد على احترام الأنبياء والرسل ولم يقبل المساس بهم بأي شكل من الأشكال، فوصفهم بالأسوة الحسنة ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (سورة الممتحنة: ٤) وأيضاً عمم ذلك على أتباع الأنبياء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ (سورة الصف: ١٤).

فأين التوافق المزعوم من قبل أصحاب المدرسة الحداثية بين النص القرآن وغيره من الكتب السماوية الأخرى لجعل مصنعات أهل الكتاب أصلا تفرعت منه الشريعة المحمدية؟!

خلاصة ما تقدم نتساءل: كيف فسر الحداد هذه الآيات حتى وصل إلى نتيجته المزعومة

أن النص القرآني نصا معربا عن كتاب الإمام (التوراة) لا كتاب جديد، وعلى أي أساس بنى شبهته؟!

فلو كان القرآن معرب إلا يجدر أن يكون صورة مشابه عن الكتاب الأصل فلماذا نجد القرآن نصا يخالف الكثير من تعاليم تلك الكتب التي لم تسلم من التحريف والتغير، بالإضافة إلى لو كان القرآن معربا كما يدعي لما طلب المشركون من النبي أن يبدل القرآن ويأتيهم بكتاب غيره ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (سورة يونس: ١٥) فلو كانوا يسمعون من النبي محمد ﷺ أو من غيره نفس ما يتداول بينهم لما طلبوا منه ذلك، فطلبهم يعد دليلا صريحا على وجود المغايرة بين النص القرآني وزبر الأولين.

الخاتمة:-

أولاً: القرآن الكريم ليس إلا كتابا موحى من قبل الله تعالى إلى النبي محمد ﷺ كسائر الكتب السماوية ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (سورة النساء: ١٦٣).

ثانياً: تهدف الشرائع السماوية جميعها إلى تحقيق غاية واحدة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (سورة آل عمران: ١٩) وعلى الرغم من اختلافها في بعض التكاليف وصور الأعمال، إلا أن هدفها واحد هو تحقيق التسليم المطلق لله تعالى، وهذا ما ركزت عليه جميع الشرائع السماوية، فالمسلم الحقيقي من كان خالصا من الشوائب الشرك، مخلصا في أعماله مع الإيمان من أي ملة كان، وفي أي زمان وجد، وهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (سورة آل عمران: ٨٥)، وهذا هو الدستور العام الذي عليه المعوّل في كل دين[٥٩].

ثالثًا: التشابه بين الشرائع السماوية أمر وارد كونها تنحدر كلها من أصل واحد، فالذي أوحى زبر الأولين أوحى النص القرآني، وأما أوجه الاختلاف بين الشرائع السماوية فما هو إلا دليلا على صحة الشريعة المحمدية، وإلا فكيف أمكن لإنسان عادي بعد عقود من السنين أن يطلع على دقائق قصص الأمم السابقة التي لم يورد ذكرها في كتبهم بهذا الشكل! ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٤٤)، بالإضافة إلى ذلك فإذا كان النص مقتبساً من تلك الكتب فلماذا لم يؤكد الأخطاء الوارد فيها وجاء مخالف لها ؟!

رابعًا: وتبين أن رواد المدرسة الحداثية ليسوا إلا مقلدين للحداثة الغربية، يحاولون بأقصى طرقهم تشويه الدين الإسلامي بتقديم الأكاذيب وإلصاقها بالنبي محمد ﷺ وشريعته، وليثبت لأصحاب العقول الساذجة أن النص القرآني هو نص بشري، كسائر النصوص قابل للدراسة والنقد ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٢).

هوامش البحث

(١) الحداد، يوسف درة، القرآن والكتاب (بيئة القرآن الكتابية): ص١٧٤

(٢) دروزه، محمد عزة، سيرة الرسول الأعظم: ج١/ ص٢٩٨ (هذا الهامش كتبه الحداد في كتابه)

(٣) الحداد، يوسف درة، القرآن دعوة نصرانية: ص٣٦٣

(٤) الحداد، يوسف درة، القرآن والكتاب (بيئة القرآن الكتابية): ص١٧٤

(٥) الحداد، يوسف درة، القرآن والكتاب (بيئة القرآن الكتابية): ص ١٧٣- ١٧٥

(٦) آركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: ص٤٠

(٧) الأخضر، العفيف، من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ: ص١٨٧

(٨) الأخضر، العفيف، من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ: ٥٤

(٩) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٣/ ص٥٤١

(١٠) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٥/ ص٢٠٠ - ٢٠١

(١١) آملي، عبد الله جوادي، تفسير تسنيم: ج١٢/ ص٦١- ٦٦

(١٢) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي: ج٣/ ص١١٩

(١٣) دروزة، محمد عزة، سيرة الرسول مقتبسة من القرآن الكريم: ج١/ ص ٣٣٠

(١٤) فالأعلى اسم يفيد الزيادة في صفة العلو، والعلو المشتق منه وصفه تعالى الأعلى علو مجازي ويراد منه الكمال التام الدائم (ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير: ج٣٠/ ص٢٧٤)، وأما

الأكبر فهو اسم يستعمل في الكمية فالله جل ذكر أكبر من كل كبير بما لا يساويه شيء، فهو أكبر من كل كبير سواه (الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج١٠/ ص١٦٤)

(١٥) سورة الأعلى: ٤ ـ ٨

(١٦) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان: ج٢٠/ ص١٥٠

(١٧) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٨ / ص٣٩ ـ ٤٠

(١٨) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير: ج٢٥ / ص١٥٢

(١٩) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ٢٠ / ص١٥١ ـ الواحدي، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ج٤ / ص٤٧١

(٢٠) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج١٠/ ص٢٩٧

(٢١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج٢٤ /ص ٣٧٦

(٢٢) ملا حويش العاني، عبد القادر، بيان المعاني: ج٦ / ص٨٥ ـ ج١/ ص٣٣

(٢٣) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨ / ص٥٧

(٢٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج١٠/ ص٢٩٧

(٢٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان: ج٢٠/ ص١٥١

(٢٦) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، تفسير المنير: ج٣٠/ص ١٩٩

(٢٧) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٦/ ص٢٩٤

(٢٨) معرفة، محمد هادي، شبهات وردود حول القرآن: ص ١١ـ ١٢

(٢٩) معرفة، محمد هادي، شبهات وردود حول القرآن: ص ١٤

(٣٠) معرفة، محمد هادي، شبهات وردود حول القرآن الكريم: ص١٤

(٣١) الحداد، يوسف درة، القرآن والكتاب (بيئة القرآن الكتابية): ص١٧٦

(٣٢) الحداد، يوسف درة، القرآن دعوة نصرانية: ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠

(٣٣) القس ورقة بن نوفل الأسدي، من أهم الشخصيات الحنفية الذين رفضوا التعددية الإلهية واعتقدوا بوحدانية الله، بيد أنه اختار الديانة النصرانية، وقرأ التوراة والإنجيل وتبحر في علوم الكتاب، ولم يكتف بذلك فقد تعلم اللغة العبرية مما أتاح له ذلك نقل أجزاء عديدة منهما من اللغة العبرية إلى اللغة العربية، وقد كان له دورا كبيرا في التجربة النبوية ولم يكن دورة هامشيا... / عبد الكريم، خليل، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين: ص ١١-١٢.

(٣٤) تذكر السيرة إن سلمان الفارسي لم يلتقي بالنبي إلا في المدينة، ولكن قصة ترحال سلمان من بلد إلى أخر حتى حط رحاله في يثرب غير موثوقة إذ إننا نجد أن آية الثياب الخضر لسكان الجنة موجودة في سورتين مدنية ومكية (الكهف) وآيات حور العين موجودة في ثلاث سور مكية (الدخان، الطور، الواقعة) وأيضا ورد ذكرها في سورة مدنية واحدة (الرحمن) وهذه تعد دليلا لأثبات أن سلمان لم يقنط

في يثرب فقط وإنما كان عبدا في مكة قبل ذلك... / الأخضر، العفيف، من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ: ص ٥٧

(٣٥) الأخضر، العفيف، من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ: ص١٨٧

(٣٦) الحداد، يوسف درة، القرآن والكتاب (بيئة القرآن الكتابية): ص١٧٧-١٧٨

(٣٧) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٨/ ص٣٢٨

(٣٨) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان: ج١/ ص٣٣ -٣٤

(٣٩) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف: ج٤ / ص٥٩٢

(٤٠) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج١٨ / ص٤٢٤

(٤١) الزمخشري، محمد بن عمرو، الكشاف: ج٤/ ص٥٩٤

(٤٢) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٩/ ص٢١٤

(٤٣) الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط: ج١٥ / ص٢١

(٤٤) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن: ص٦٣

(٤٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل: ج١٠/ ص١٢٨

(٤٦) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٩/ ص١٨١

(٤٧) البغوي، محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي: ج٥/ ص٣١١

(٤٨) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٤/ ص١٣٤

(٤٩) الحداد، يوسف درة، القرآن والكتاب (بيئة القرآن الكتابية): ص ١٧٩ - ١٨٧

(٥٠) يراد من تفصيل الكتاب ليس ترجمته بل قراءة النص قراءة جديدة بلغة أخرى يطلق عليها باللغة العربية (قرآن) وفي لغة أخرى تسمى (تنزيلاً)، ولهذا نرى القرآن العربي تفصيل الكتاب المقدس أي (قراءة الكتاب المقدس قراءة جديدة بلغة أخرى) ـ الحداد، يوسف درة، القرآن دعوة نصرانية: ص١٤٣.

(٥١) الحداد، يوسف درة، القرآن دعوة نصرانية: ص٣٨٧ - ٣٨٨

(٥٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان: ج١٠/ ص٧١- ٧٢

(٥٣) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن: ج٦/ ص٣٢٥٩

(٥٤) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٥/ ص٣٧٢

(٥٥) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف: ج ٢/ ص٥١١

(٥٦) الكتاب المقدس (سفر التكوين): الإصحاح ٩/ ١٨ - ٢٤

(٥٧) معرفة، محمد هادي، شبهات وردود حول القرآن: ص٢٦

(٥٨) الكتاب المقدس (سفر التكوين): الإصحاح ١٩/ ٢٩ - ٣٨

(٥٩) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي: ج٣/ ص١١٩

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس - ١٩٨٤م.

٢. الأخضر، العفيف (ت١٤٣٤هـ)، **من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ**، ط١، منشورات الجمل، بغداد - ٢٠١٤م.

٣. آركون، محمد (ت ١٤٣١هـ)، **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، ترجمه: هاشم صالح، ط١، دار الطليعة، بيروت - ٢٠٠١م.

٤. البغوي، محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

٥. الحداد، يوسف درّة (١٣٩٩هـ)، **القرآن دعوة نصرانية**، ط٢، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٢م.

٦. -، **القرآن والكتاب (بيئة القرآن الكتابية)**، منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠٤م

٧. دروزه، محمد عزة (ت ١٤٠٤هـ)، **سيرة الرسول صور مقتبسه من القرآن الكريم**، تنظيم عبد الله بن إبراهيم الأنصار، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

٨. الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٤٣٥هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط١، دار الفكر، دمشق - ١٩٩١م.

٩. الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو(ت٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت - ١٤٠٧هـ.

١٠. شحرور، محمد (ت١٤٤١هـ)، **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ب. ت.

١١. الشيرازي، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب اللهِ المُنزَل**، الموقع الرسمي للمؤلف http://www.makaremshirazi.org/books/arabic.htm

١٢. الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت - ١٩٩٧م.

١٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، **مجمع البيان**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت - ١٩٩٥م.

١٤. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠١م.

١٥. الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، **التبيان في تفسير القرآن**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٩٨٥م.

١٦. المراغي، أحمد مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٦م، مصر.

١٧. الآملي، عبد الله جوادي، **تسنيم في تفسير القرآن**، ط١، دار الإسراء للنشر، ٢٠١٥م، قم المقدسة.

١٨. عبد الكريم، خليل (ت١٤٢٣هـ)، **فترة التكوين في حياة الصادق الأمين**، دار مصر المحروسة، القاهرة - ٢٠٠٤م.

١٩. الكتاب المقدس (ترجمة العالم الجديد)، مترجم عن الطبعة الإنكليزية المنقحة الصادرة ١٩٨٤م - اليابان.

٢٠. معرفة، محمد هادي (ت١٤٢٨هـ)، **شبهات وردود حول القرآن**، تحقيق: مؤسسة التمهيد، ط٤، منشورات ذوي القربى، قم المقدسة - ٢٠٠٩م.

٢١. ملا حويش العاني، عبد القادر (ت١٣٩٨هـ)، **بيان المعاني**، ط١، مطبعة الترقي، دمشق - ١٩٨٤م.

٢٢. الواحدي، علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ط١، عماد البحث العلمي، ١٤٣٠هـ.